

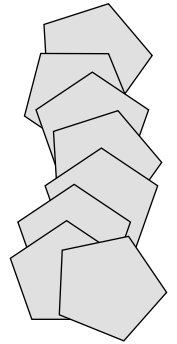
## الحج رحلة حضارية وحدوية طيبة !

محمد سليمان

المناسك وأشرفها في أطيب الأماكن وأقدس البقاع وأحبها على الله تعالى لهذا تعبد الناس بها لحكم قد ندرك شيئاً منها ويغيب الكثير الكثير منها، والله أعلم بالذي تحمله من حكم وأبعاد وصفات ..

إن الرحلات تتسم بالاستمرار لأنها حركة، والإنسان لا يكف عن الحركة؛ لأن التوقف عن الحركة يعني التأخر أو توقف الحياة أو الموت . فالإنسان ليس كتلة جامدة كالجبال والمدن، فله حركة تتم بشكل طبيعي لا إرادة له فيها (مواليد ووفيات)، أو تتم بشكل يخططه الإنسان بنفسه أي حركة إرادية تتمثل بسعيه الدؤوب في مناكب الأرض والضرب فيها سواء أكان هذا الإنسان فرداً أم جماعة، أم أسرة أم كياناً، أم حزباً ودولة وأمة .. وهذه الحركة هي ما تعرف بالرحلة عند الجغرافيين من أجل الاستكشافات هنا وهناك في

إن الرحلة إلى البقاع المقدسة - مكة والمدينة - رحلة ذات آثار طيبة في حياتنا سواء على المستوى الفردي أم الاجتماعي، ووحدة الأمة المسلمة وهي الأهم، وهو ما نجد في كل ما حملته هذه المقالة من مميزات الرحلة للحج وفي الأبعاد والحكم .. ولهذا تعد من أشرف وأنفع الرحلات، التي يقوم بها الإنسان المؤمن منذ أن راح أذان سيدنا نبي الله إبراهيم عليه السلام يدوي في الأفاق قبل أربعة آلاف سنة تقل قليلاً أو تزيد ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ فهي رحلة الإجابة والتلبية والتزود بالتقوى فهي زاد الإنسان وهو يغادر بيته وأهله وأتباعه وما يملكه من سلطان ومال وعمل حيث ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ ليؤدي خير الأعمال وأنبل الأنشطة وأعظم



والمواقف المشرفة عرفة والمزدلفة ومنى .. وحيث الأضرحة المباركة لرسول الرحمة محمد ﷺ ولأهل بيته سلام الله عليهم، والصالحين من الصحابة والشهداء رضوان الله تعالى عليهم.. حقاً إنها رحلة مباركة طيبة ﴿لَيْشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ .

وإننا إنما اخترنا التسمية انطلاقاً من الرحلات العديدة التي قام بها العديد من العلماء الذين دونوا ما رأوه في رحلاتهم عبر العالم، ومن ذلك رحلتهم إلى الديار المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة ونكتفي بذكر أسماء بعضها ... وقبل ذلك وقبل التعرض لبعض مميزاتها وحكمها وأبعادها المقترنة بها أو ذكرت لها .. هذا معناها في اللغة :

### الرحلة في اللغة

الرحلة لغة : من رحل عن المكان

المعمورة أو زيارة مقدس أو عزيز، أو طلب العلم، والرزق والتجارة، وللراحة والاستجمام، وأسبابها عديدة كما أن هذه الحركة التي سميتها رحلة قد تكون داخلية، بين مدن الدولة الواحدة، أو تكون خارجية لدول أخرى، وقد تكون هذه الرحلة فردية أو جماعية، وقد تكون دائمة أو مؤقتة، موسمية أو يومية، وأيضاً قد يكون الإنسان مجبراً عليها أو تتم باختياره وإرادته..

ثم إن حركة المواليد والوفيات إذا كانت تعمل على توزيع السكان فإن الرحلات بأنواعها المختلفة تؤدي لإعادة هذا التوزيع. المهم أن الرحلات لها منافع كثيرة قد لا يمكن الإلمام بها .. ومن أفضل هذه الرحلات وأعظمها بركة وخيراً لدنيا الإنسان ولآخرفته هي الرحلة التي أنعم الله تعالى بها على الناس والتي تتمثل في الانطلاق نحو بيته المبارك

رحلاً ورحيلاً وترحالاً، ورحلة : سار ومضى ... والرحلة بتشديد الراء وكسرهما : الارتحال جمعها رحل بكسر الراء وفتح الحاء وفي التنزيل العزيز : ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾. والرحلة بضم الراء وتشديدها : ما يرتحل إليه، ويقال : الكعبة رحلة المسلمين، وأنتم رحلتي، وعالم رحلة : يرتحل إليه من الآفاق، كل هذا بضم الراء من رحلة ، ...

والترحال والارتحال : انتقال أناس من مكان إلى مكان آخر ...

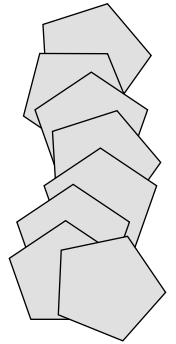
### الأول : مميزات رحلة الحج

كما قلنا، إن الرحلة إلى الحج تفترق كثيراً عن باقي الرحلات الأخرى، لأنها رحلة عبادة بالمعنى الأوسع للعبادة، رحلة إلى الله سبحانه وتعالى أي للحصول على رضاه ورحمته ومغفرته وعفوه، لهذا حظيت رحلة الحج بمميزات كثيرة، فبماذا

تتمتاز رحلة الحج ؟

الرحلة الأعظم : إن الحج مما لا شك فيه يعد رحلة من أعظم الرحلات بل وأنبهها وأشرفها، فهي رحلة ربانية تعد أساس قوام مصالح الناس في الأرض بل في الدنيا والآخرة ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ﴾<sup>(١)</sup>، ولا بد من الإشارة إلى موسمية العمرة في شهري رجب ورمضان المباركين - وإن جاز أداؤها في باقي الأشهر - كحركة سكانية ربانية لا تقل في أهميتها واتساعها عن الحج نفسه ..

الحركة الأصدق : ليس الحج حركة اعتباطية، بل هي حركة منتظمة تسجلها جموع كثيرة من أماكن هي الأخرى كثيرة، قريبة من مكة أي داخل بلد الحرمين مكة والمدينة أو بعيدة من أطراف مترامية من فجاج وطرق بعيدة، عبر القرآن عنها : ﴿مَنْ كُلُّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ تأتي إلى



إن المحب لمن يهواه زوار (٢)  
 إذن، الدوافع والنوايا تلعب دوراً  
 مهماً في هذه الرحلة، فتجعلها رحلة  
 ربانية بحق وبها يمتاز الحج وأيضاً  
 العمرة عن الرحلات والهجرات  
 السكانية العادية الجغرافية في  
 الدوافع .. فلا يوجد شيء يحرك  
 الناس إلى الحج إلا الدوافع الدينية  
 والروحية البحتة، فأشواق الروح  
 وعامل الجذب الديني هو الذي يدفع  
 بالمسلمين من كل بقاع المعمورة إلى  
 البقاع المقدسة وهدفهم :

﴿... وَ يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ  
 مَعْلُومَاتٍ ...﴾

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا  
 فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفْضْتُمْ مِنْ  
 عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ  
 الْحَرَامِ وَ انْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَ إِنْ  
 كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ (٣) .

إن صدق النية ونزاهتها من كل  
 شائبة أو شرك في هذه الرحلة العبادية

البقاع المقدسة يدفعها الشوق والود  
 والصدق والإخلاص في النوايا لأداء  
 مناسك الحج والعمرة غير مبالية هذه  
 النفوس بما تلاقيه من أتعاب وآلام  
 وجوع وعطش خصوصاً في تلك  
 الأزمنة التي انعدمت فيها وسائل  
 النقل المريحة المتوفرة في زماننا هذا..  
 حتى ورد أن أحدهم وهو محمد بن  
 ياسين قال : قال لي شيخ في الطواف:  
 من أين أنت ؟

فقلت : من خراسان، قال : كم  
 بينكم وبين البيت ؟ قلت : مسيرة  
 شهرين أو ثلاثة . قال : فأنتم جيران  
 البيت . قلت : أنت من أين جئت؟  
 قال : من مسيرة خمس سنوات،  
 وخرجت وأنا شاب فاكتهلت: قلت:  
 والله هذه الطاعة الجميلة والحجة  
 الصادقة . فقال :

زر من هويت وإن شطت بك الدار  
 وحال من دونه حجب وأستار  
 لا يمنعك بعد عن زيارته

في أن تكون خالصة لوجه الله تعالى  
في مناسك الحج سبب أدعى للقبول  
وأرجى للأجر والثواب عند الله  
سبحانه وتعالى القائل :

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ (٤).

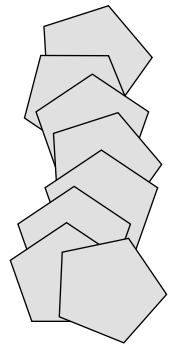
وقال الرسول ﷺ :

«من كانت هجرته إلى الله ورسوله  
فهجرته إلى الله ورسوله...».

القدوم المختلف : ويختلف القدوم  
إلى الحج عن الرحلات الأخرى  
بطبيعة الناس القادمين لأداء فريضة  
الحج من حيث العمر ومن حيث  
السلامة والصحة والقابليات... فهو  
حركة سكانية تمتاز بتقارب نسبة  
الذكور والإناث، لأن أفواج الحجيج  
لا تكون من الذكور وحدهم كما  
هو شأن حركات السكان غالباً  
بدافع العمل أو لأغراض معرفية  
أو سياسية واقتصادية وتجارية .. بل  
يشترك في الحج الذكور والإناث  
معاً. كما أن التركيب العمري

للحاج لا يكون من الشباب وفئات  
السن المتوسطة القادرة على العمل  
والإنتاج كما هو شأن الرحلة العادية،  
بل تشمل حركة الحجاج الشباب  
والشيوخ والكهول، وبعض العجزة  
غير القادرين الذين يتمنون لو  
انتهت بهم رحلة الحياة في الأراضي  
المقدسة، ويفدون على الله تعالى  
بلباس إحرامهم .. هذه هي أمنية  
عباد الله الصالحين ، وكم استشهد  
على الطريق من الحجيج في عصر  
كان الحاج يودعه أهله وفي حسابهم  
ألا يعود من هذه الرحلة.

فريضة العمر : واجب على كل  
مسلم يمتلك الاستطاعة من الزاد  
والراحلة أن يرتحل إلى مهبط الوحي  
ومواقع النبوة، ويعيش فترة من عمره  
في إطارين محددين وهما الزمان  
والمكان كانا وعاء لحركة الإسلام  
الأولى، حيث بدأت الخطوات من  
غار حراء وامتدت حتى تبلغ الناس



مَنَافِعَ لَهُمْ ﴿٥﴾

الممارسة التطبيقية : وهذا يعني أن الإسلام فرض على المسلمين ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (٥) . ممارسة هذه الرحلة عملياً ولو مرة واحدة في العمر، ليطبق أحكام السفر الفقهية، ويمارس المسلم خلالها تجارب متعددة، ويعايش أصنافاً من البشر ويتعرف عليهم ويتعارف معهم فيصقل خبرته وتجاربه، ويكتسب علماً ومعرفة، وهو في الطريق لأداء ركن الإسلام الخامس الحج إلى بيت الله الحرام.

والمأمل في إحصائيات الحجيج لا يجد قارة في العالم إلا وقدم منها عدد من الحجاج من أقوام شتى، مهما بعدت المسافات أو طال زمن الرحلة، وغلت أثمانها وتكاليفها، فيتحقق الهدف الأسمى بين الناس ألا وهو التعارف بين الحضارات، وهو

كافة. والمسلمون عموماً مطالبون بين وقت وآخر بالعودة إلى المنابع الأولى للمراجعة والتصويب، وللتأكد من صحة اتجاه المسير الذي هم عليه . إن وفود الحجيج السنوية وهي تأتي من شتى أنحاء العالم الإسلامي إلى موطن الدعوة الأولى، والعيش على الأرض التي بزغ فيها فجر الإسلام تتواصل مع الجذور التاريخية الممتدة للنبوة، وتتجاوز حواجز التاريخ والجغرافيا لتشرف على خط التوحيد، بدءاً من إبراهيم عليه السلام الذي أمره الله سبحانه ببناء البيت وتطهيره من الشرك والوثنية، ومناداة الناس إلى الحج.

الرحلة الأنفع : ولا ينع الإسلام الحجاج من التجارة في الحج والاستفادة من هذا التجمع البشري لممارسة الأنشطة الاقتصادية المختلفة؛ حيث يمكن للحجاج أن يمارسوا التجارة مع إخوانهم القادمين من شتى بقاع الأرض : ﴿لِيَشْهَدُوا



الحج وقد ملئت روحه إيماناً وتقوى  
ومعرفة واطلاعاً...

## الثاني : الأبعاد

### البعد التاريخي للحج

من المعروف أن الحج ركن من  
أركان الإسلام سبق ظهور الإسلام  
بحوالي خمسة وعشرين قرناً، حين  
فرض على إبراهيم عليه السلام بعد أن  
أمره الله سبحانه وتعالى بإقامة قواعد  
البيت وتطهيره من رجس الأوثان،  
قال الله تعالى:

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ  
الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ  
بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ  
السُّجُودِ ﴾ (٧).

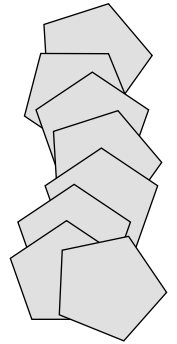
﴿ وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ  
أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ  
وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (٨).

فجاءت فريضة الحج بعد إقامة  
البيت، قال الله تعالى مخاطباً نبيه  
إبراهيم عليه السلام:

مصطلح قرآني جميل لا الصراع بين  
الحضارات ولا الحوار بين الحضارات  
كما يعبر عنه، إنه التعارف بين  
الحضارات وما أجمله من مصطلح،  
وخير مصداق له وميدان له هو الحج  
ميدان عملي للتعارف بين المسلمين،  
يتعلم فيه المؤمنون كيف تكون  
الانطلاقة نحو التعرف على حضارة  
الأخر المختلف والتعارف معها ..  
انطلاقاً من الآية الكريمة :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ  
ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا  
وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ  
أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٦).

إن لهذه الرحلة المباركة وهذه  
الهجرة إلى الله تعالى أبعاداً ومقاصد  
عديدة ثمينة ينبغي للإنسان المؤمن  
التعرف عليها، ووعيتها ووعياً نافعاً  
ليستثمرها في حياته الفردية،  
والأسرية، والاجتماعية، والسياسية،  
والاقتصادية، والثقافية .. ليخرج من





الحنيف، ثم نصره الله تعالى على أعدائه المشركين، فتم فتح مكة في العام الثامن للهجرة، وأعيد التوحيد الخالص إلى رحاب البيت العتيق، ليبقى هذا البيت كما أراه إبراهيم - بل أرادته السماء - مباركاً وهدي للعالمين، مثابة للناس وأمناءً ثم قبلة ومصلى .. وفي حجة الوداع يعلن النبي ﷺ عالمية الإسلام في عرفات عام ١٠ هجرية .

وها قد مضى على الحج قرابة خمسة عشر قرناً من عمر الإسلام تضاف إلى عمر فريضة الحج في بعدها الزمني، لتشكل عمراً مباركاً مديداً لها لا يقل عن أربعين قرناً، وفي طول هذه المدة قطعت الملايين من الحجاج الأرض من كل فج عميق إلى مكة المكرمة رجالاً وركباناً على الإبل والخيول والسفن والبواخر فالسيارات و الطائرات، وبشتى الوسائل المتاحة في رحلة

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (٩).

فراح الحنيفيون يتوارثون تلبية ذلك النداء، وأداء ذلك الفرض العظيم وبقي البيت طاهراً حتى جاء عمرو بن لحي الخزاعي، فدنس طهر البيت بالأوثان، ودخلت الشوائب على عقيدة التوحيد، ومع ذلك ظل العرب يؤدون الحج، ويعظمون البيت برغم ما تسرب إلى المناسك من مظاهر الوثنية؛ وأشرق فجر الإسلام ومكث النبي ﷺ ثلاثة عشر عاماً يقرر التوحيد ويحارب الشرك في العصر المكي ..

إنه حقاً تقرير واتباع لملة إبراهيم ﷺ ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠) .

وواصل دعوته بعد هجرته ﷺ إلى يثرب التي سماها « المدينة المنورة » برسول الرحمة ﷺ وبدينه السماوي

وَلَا تَجْعَلُوا لِلدِّينِ وَقُفُولًا  
وَلَا تَجْعَلُوا لِلدِّينِ وَقُفُولًا



سنوية موسمية تحتضن فيها أم القرى أبناء الإسلام فترة من أعمارهم، يستشعرون فيها عظمة العقيدة الإسلامية، وعالية الدين الحنيف، ودفء الأخوة الإسلامية، وقيم التواضع والمساواة والبذل والصبر والتطهر والوفاء، والتزود من معاني التطواف بأقدس البقاع وأحبها إليه تعالى .. يسألون الله تعالى رضاه ومغفرته، وهم يؤدون ما أمروا به من مناسك في هذه الرحلة المفروضة على المسلمين مرة واحدة في العمر ﴿ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾ تخصص من عمر كل مؤمن مستطيع ﴿ وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ يقضيها في جوار ربه، متعبداً بشعائر مباركة فرضها عليه في بيته المبارك ذي الآيات المباركة وفيما حوله من مشاعر مباركة أيضاً:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾

فِي آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ... ﴿

وهدفهم الكبير يحدوهم: ﴿ .. لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ وأيضاً ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَ يُذَكِّرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ .. ﴾

### البعد الحضاري للحج :

في ذلك المؤتمر العالمي الجامع بأرض المناسك، حيث يشكل أروع مجتمع بشري من كل جنس ولون، يجمعهم التوحيد في وئام ومحبة، ثم يفترقون وأعينهم تفيض من الدمع بعد أن تكونت علاقات اجتماعية واقتصادية وثقافية بينهم، تنبض بها شرايين الأمة، وتناقلتها دروب الحجيج التي امتلأت عبر التاريخ، وكان لها أثر لا يمكن إغفاله في حياة المسلمين، وقد اكتسبوا منافع معرفية وحضارية لا حصر لها، يشهد لها ما



وفي الشمال : المقدسي عبدالغني  
النايلسي، وابن فضلان.  
هذا على مستوى الرحلات وأما  
اللقاءات بين علماء الفقه والتفسير  
والحديث واللغة والأدب والثقافة  
في أرض المناسك وعلى دروب الحج  
فلا يستطيع أحد من الناس الإحاطة  
بها، فقد تبودلت أفكار وآراء،  
وكتبت إجازات وبحوث ومؤلفات  
كانت تشكل ثقافات متنوعة تهب  
على كل ديار المسلمين في عصر ما  
قبل ظهور الطباعة.

إن الحج باب من أبواب ينفر  
إليه كل عام طائفة ممن يحمل هموم  
المسلمين تنقل صورة الواقع الحقيقي  
للأمة المسلمة بالرؤية المباشرة بعيداً  
عن صور الزيف والتضليل الإعلامي  
والسياسي. فعلى الرغم من تباين  
النظرة السياسية، والتفرق والتمزق  
خلف الحدود جعلت المسلمين شيعاً  
وأحزاباً، يؤكد لقاء الحج سنوياً أن

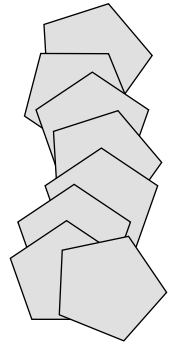
تركه المسلمون من تراث جغرافي  
وتاريخي وعمراني في ميادين المعرفة،  
فنشأ سجل معرفي أحدث مصاهرة  
بين البيئات والحضارات حتى برز  
العديد من الرحالة الذين أغنوا  
بما كتبه المكتبات الثقافية وميادين  
المعرفة .

ففي الشرق من العالم الإسلامي  
برز من الرحالة الباحثين :

اليعقوبي، والمسعودي وناصر  
خسرو، وأبو إسحاق الحربي وابن  
حوقل، وياقوت الحموي، والخوارزمي،  
والبيروني، وابن خرداذبة وابن  
رسته.. .

وفي الغرب : ابن جبير، وابن  
بطوطة، والبكري، والإدريسي،  
والتجيبى، وابن رشيد الأندلسي،  
والمقرئزي، والجزائري، وأبو القاسم  
الزياني.

وفي الجنوب : الهمداني، وعرام بن  
الأصبع و الينبعي.



الحضاري مما علق به؛ في محاولة للوصول إلى الحقيقة، وبعث الأجداد، وشحذ المهتم من خلال العيش في نفس الظروف التاريخية. فهناك عدد من الرحالة الأوروبيين يحاولون السير على نفس الطريق الذي سارت عليه الحملات الصليبية، ويلبسون لباس تلك الفترة، كما نسمع عن آخرين يشدون الرحال لاقتفاء آثار المكتشفين الجغرافيين، وما ذلك إلا ليتوفر للفكرة التي يعيشها الإنسان الظروف التي نبتت وترعرعت فيها تلك الفكرة. ولكن هذه العودة إلى الماضي وإن كانت ضرورية فيجب أن تقدر بقدرها؛ فإذا كان التشبث بالتاريخ واللجوء إليه للوقوف أمام العواصف التي تحاول اقتلاع الجذور ضرورياً، فلا يعني ذلك الغياب في الماضي على حساب الحاضر والمستقبل، لأن تلك الغيبوبة تصبح موتاً مع وقف

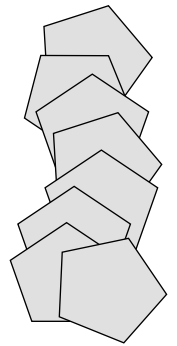
العقيدة أقوى من السياسات، وأن ما يجمع المسلمين كشعوب أكثر من فلسفات الفرقة التي تبتكرها أباطيل السياسة، وتلايف متاهاتها المظلمة.

إن الحج رحلة باتجاه قراءة السيرة والتاريخ، وعودة للتزود من المنبع الأصلي، ومشاهدة لأرض النبوة، ورصد لحركة الدعوة عن قرب، واستعادة للتألق التاريخي لنقاط الارتكاز التي قام عليها المجتمع المسلم والحضارة الإسلامية مما ينشط الذاكرة ويحددها، ويعيد الفاعلية للجوانب الضامرة من عاطفة الإنسان وفكره بعد رحلة زمنية بعيدة.

إننا نسمع اليوم عن مجموعات من المؤرخين والجغرافيين وعلماء الاجتماع والأديان، يحاولون التوغل في العمق التاريخي، ويستحضرون الظروف والملابسات التي رافقت الأحداث، وذلك لتخليص المسار

الدفن وإساءة للماضي نفسه، وحكم  
 عليه بالعجز وعدم الصلاحية لإفادة  
 الحاضر وتشكيل المستقبل، وتلك  
 هي الأزمة المستعصية التي وقع  
 فيها أولئك الذين أسقطوا الحاضر  
 والمستقبل، فانسحبوا من الساحة  
 نهائياً يعيشون على ذكريات الماضي  
 وأمجاده وانتصاراته، مع إصرار شديد  
 على تأكيد الوجود التاريخي من  
 الحضور المعاصر.  
 إن المسلم عندما يتهياً لأداء فريضة  
 الحج ينبغي أن يعرف أن أول الحج  
 الفهم - فهم موقع الحج من الدين -  
 ودراسة أعمال الحج ودراسة أسرارها  
 ورموزها حتى يشعر بالشوق والعزم  
 وإزالة الموانع واتخاذ أسباب السفر.  
 والمتأمل في أعمال الحج يشعر بالحكم  
 العظيمة فيه ..

لَمَّا خَلَقْنَا  
 الْإِنْسَانَ  
 فَاتَّخَذْنَا  
 سَمْعَهُ  
 بَصِيرَةً  
 وَأَبْصَارًا  
 وَنُفُوسًا  
 لَّيْسَ بِهَا  
 حَقِيرَةً  
 لَمَّا خَلَقْنَا  
 الْإِنْسَانَ  
 فَاتَّخَذْنَا  
 سَمْعَهُ  
 بَصِيرَةً  
 وَأَبْصَارًا  
 وَنُفُوسًا  
 لَّيْسَ بِهَا  
 حَقِيرَةً



منقطعي أسباب الحياة بالكلية، مع ما أظهره الله تعالى لهما من الكرامة، والآية في إخراج الماء لهما، كان في ذلك مصالح عظيمة، أي في التذکر لتلك الحال،

وكذلك رمي الجمار إذا فعلناه وتذكرنا أن سببه رمي إبليس بالجمار في هذه المواضع عند إرادة الخليل ذبح ولده، يحصل من ذلك مصالح عظيمة في النفع في الدين» (١١).

### البعد الوجداني لرحلة الحج

قلنا: إن البعد الوجداني نجده في كل أبعاد هذه الرحلة ومميزاتها وهي تصوغ الإنسان المؤمن روحياً وسلوكياً وأخلاقياً، فتجعل منه قاعدة لوحدة مجتمعه ثم أمته، ومع هذا جعلت هذه المقالة هذا البعد بعداً مستقلاً لفائدته ولتوضيحه بمقطع مختصر:

إن اجتماع الحجيج من أرجاء

قال ابن دقيق العيد في شأن أعمال الحج وأساراه: «وفي ذلك من الحكم تذكر الوقائع الماضية للسلف الكرام، وفي تذكرها مصالح دينية، إذ يتبين في أثناء كثير منها ما كانوا عليه من امتثال أمر الله تعالى، والمبادرة إليه، وبذل النفس في ذلك، وبهذه النكتة يظهر لك أن كثيراً من الأعمال التي وقعت في الحج، ويقال فيها: إنها تعبديّة فقط ليست كما قيل، ألا ترى أنا إذا فعلناها وتذكرنا أسبابها حصل لنا من ذلك تذكر الأولين، وما كانوا عليه من احتمال المشاق في امتثال أمر الله فكان هذا التذكر بامتثالنا على مثل ذلك، ومقرر في أنفسنا تعظيم الأولين، وذلك معنى معقول، مثاله:

السعي بين الصفا والمروة، إذا فعلناه وتذكرنا أن سببه قصة هاجر مع ابنها، وترك الخليل لهما في ذلك المكان الموحش، منفردين

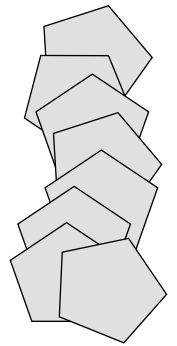
المعمورة وهم يهللون بالتوحيد،  
تجمعهم عقيدة واحدة وشريعة واحدة،  
أضاف الحج إليهم رابطة ثالثة حسية  
ملموسة هي وحدة الأرض والوطن  
أرض الوحي والوطن لأمة الإسلام  
قاطبة، فالمسلمون مهما تباعدت  
أقطارهم وتباينت ألسنتهم وألوانهم  
هم أمة واحدة تجمعهم رابطة الدين  
والعقيدة، وهم الأمة الوسط في  
موقعها الجغرافي وفي بعدها الروحي  
والديني، وهذه الوحدة كافية للتغلب  
على تلك الفوارق السطحية بين  
شعوب المسلمين في ألسنتها وألوانها  
وعاداتها لتجعل من المسلمين أمة  
واحدة تتجانس مناهجها وخططها  
وطرق تفكيرها، لتكون الأمة الأقوى  
والأرغد عيشاً والأتم عزة ومنعة،  
قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا  
رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (١٢) .

ففي الحج يكتسح المسلم فرديته

الضيقة ينتقل إلى رحاب الإسلام  
التي تغطي الكرة الأرضية، مستشعراً  
الأخوة الإسلامية وهي تجمع الكل  
في أسرة واحدة وبيت واحد ومجتمع  
واحد يشد بعضه بعضاً، ويتيقن  
الحاج أن الحج هو الخطوة الأولى لبناء  
الوحدة الإسلامية على أساس الدين  
والعقيدة متجاوزين الحدود الجغرافية  
والقومية والإقليمية، والذي ينظر  
من أعلى إلى صعيد عرفات إلى  
تلك الجموع الهادرة تعلن التوحيد  
والتلبية والتكبير، لا يتخيل للحظة  
واحدة أن مثل هذه الأمة قد تهزم  
وتضعف وتذل وتكون تابعاً لغيرها  
من الأمم. فالحج أرغم كل مسلم في  
الأرض على التفكير في قوة أمته  
ووحدتها وخيراتها وقدراتها قال الله  
تعالى:

﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا  
اسْمَ اللَّهِ ﴾ (١٣) .





## البعد الفردي لرحلة الحج :

إن الحج له آثاره القيمة على الفرد المسلم، وهو ما نذكره هنا وفي الفقرة الآتية فقرة حكم الحج، الإصلاح الفردي :

إن الحج رحلة باتجاه الماضي على مستوى النفس للقيام بالمراجعة والمحاسبة، واستعراض الأخطاء وجوانب التقصير حيث يتاح للسلوك والعقل والفكر التوبة من المعاصي، وقطع العهد عن البيت العتيق ليولد المسلم من جديد، ويدع الماضي بكل ما فيه ويتجه إلى المستقبل نقياً من الذنوب، قال ﷺ :

«من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه». حتى قيل بهذا الخصوص: «إن الطواف بعكس عقارب الساعة لعله اتجاه إلى الماضي لمحو الآثار وتعفيتها، وطمس معالم الذنوب السابقة في النفس البشرية. إن الحج رحلة باتجاه الماضي على

مستوى النفس ومحاسبتها..

إن المسلم الذي يدرك الحج بأنه طاعة وامثال الله وفهم لهذه الحكم إنما يدفعه الشوق والعزم لأداء هذه الفريضة لثقتة المسبقة بأن أول مكاسبه هو التطهر من ذنوبه السالفة وسيرجع من رحلته إلى الحج وكأنه ولد من جديد،

قال ﷺ : «من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» «والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» .

يرجع المسلم بعد الحج بعيداً عن موبقات الرجس وهواجس الإثم، وتقوم نفسه اللوامة بإحصاء سيئاته والتوجه مباشرة إلى الله عز وجل بطلب المغفرة والعفو؛ وذلك لأنه في موسم الحج وصل بيت الله تائباً، وكلما وصل مشعراً من مشاعر الحج دب ديب إيمانه، فصعد بالتلبية والتكبير وصمم بنفسه على التوبة

الحج رحلة حضارية وحدوية طيبة !  
رجب - ذوالحجة ١٤٢٨ هـ - ميقات الحج ٢٨

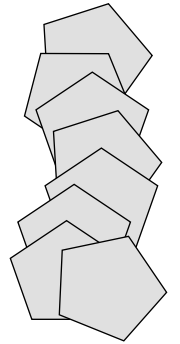
النصوح والعهد القاطع ألا يعود إلى المعصية.

موقف عرفة وازدحام الناس فيه أعظم مشاهد الحج ومناسكه، ففي ذلك الموقف بازدحام الخلق فيه، وارتفاع أصواتهم، واختلاف لغاتهم مع اتحاد لباسهم وزيتهم، يتذكر المسلم عرصات القيامة ووقوف الأمم مع أنبيائهم، واتباع كل أمة نبيها، طامعين في شفاعتهم، متحيرين بين الرد والقبول، أمم متعددة الألوان والألسنة جاؤوا من كل فج عميق، يبتهلون إلى الله عز وجل شعثاً غبراً، تجردت قلوبهم وأجسامهم من زينة الدنيا، وامتدت أعناقهم وأيديهم، وشخصت أبصارهم إلى خالقهم العظيم سبحانه الذي تجلى عليهم في ذلك الموقف، يباهي بهم ملائكته ويشهدهم أنه جل شأنه غفر لأهل الموقف.

في هذا الجو الروحي الذي لا

يمكن أن تكون السماء الأقرب إلى الأرض في موضع سواه، تنكشف الهواجس عن صاحب النفس اللوامة شيئاً فشيئاً فيحس بنسيم منعش يداعب صفحة وجهه، ويدب إلى رتيبه فينشرح صدره، فإذا آنس ذلك من نفسه أحس أن طوراً ثقيلاً كان يجثم على صدره، راح يتزحزح شيئاً فشيئاً، ومع مواصلة التفرغ والخشية يتخفف الحاج من أوزاره وأثقاله ليرجع كيوم ولدته أمه حتى إذا انشرح وثب من مكانه ظافراً منتصراً فقد هزم إبليس وجنده، وهزم أشباح المعصية في حياته، وبلح في الدعاء موقناً بالآية الكريمة، قال الله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (١٤).

فيشعر الحاج بالراحة النفسية التي عجزت نظريات الطب وعلم النفس عن منحها للعصاة المذنبين فلا عجب أن نسمع دعوات علماء الاجتماع والصحة النفسية إلى



يرى عرفات يتذكر حجة الوداع وجموع الصحابة رضي الله عنهم تأتم بالنبي ﷺ في مناسكهم، وهم يستمعون إلى حجة الوداع، حيث خطب النبي ﷺ أبلغ خطبة حفظت حقوق الإنسان وكرامته قبل أن تعرفها الشعوب الغربية بألف عام. إن التأمل في غار حراء وصعوبة الارتقاء إليه في جولا هب من الحر والريح الجافة، لتؤكد للناس عبر القرون أن النبي ﷺ كان مؤيداً بعناية رب العالمين، عندما ينقطع في الغار لا يعبأ بالوحشة والانفراد، ولا يتسلل إلى نفسه الشريفة خوف، مما يجعل انقطاعه ﷺ بالغار معجزة مستقلة تؤكد صدقه ﷺ وصبره على تلقي هذا الأمر العظيم من الوحي والنبوة والتبليغ.

إن أبلغ آثار الحج في نفس المؤمن التائب هو ولادته الجديدة بعد عودته الخاشعة، نظيفاً من الذنوب والآثام،

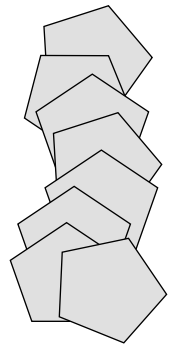
توظيف العبادات - وعلى رأسها الحج - لمقاومة الانحرافات السلوكية، وسائر أنواع الإدمان من خلال إيجاد نوع من العلاج النفسي والاجتماعي ذي الوجهة الإسلامية، بعد النجاح الكبير الذي لاحظته علماء النفس والاجتماع للعبادات الإسلامية في مجال التهذيب والإصلاح والتقويم.

ومما يكتسبه الحاج في رحلته الروحية إلى الحج زيادة إيمانه بنبيه ﷺ حيث يرى بعينه هذه البقاع الطاهرة التي سار عليها النبي ﷺ فكانت مسرحاً لجهاده في نشر الدعوة، فيتذكر عند الصفا صعوده ﷺ عليها داعياً قومه عندما أذن الله له بالجهر بالدعوة بعد ثلاث سنوات من السرية والكتمان، ويذكر عند العقبة اجتماعه بالأنصار في بيعة العقبة الأولى والثانية، ويرى جبل النور وقد ارتفع عليه (حراء) بشمم وسمو يستقبل أول نزول الوحي بالقرآن الكريم، وعندما

يستأنف حياة جديدة من الاستقامة والسمو، فيحاسب نفسه في خواطره الصامتة إذا حدثه الشيطان بسوء قائلاً:

لقد حجيت البيت فحافظ على طهرك ونقائك، ولا تدري أتعيش لعام قادم أو لا تعيش؟! وفرصة الحج ثانية قد لا تعود فاحذر الخطيئة والإثم، ويقف الحج فاصلاً منيعاً بين الماضي والحاضر المشرق، ويدفع الحاج دفعاً كيلاً ينكص على عقبيه ويحافظ على السلوك المستقيم.

وتساعد نظرة المجتمع إليه بعد عودته على المزيد من التقوى والإستقامة، فالحرص على السمعة والمروءة ليس رياء، بل هو مبالغة في التقوى والحرص على الطهر والنقاء، إن نظرة المجتمع في إيجابيتها لا تقل أهمية عن الوازع الداخلي عند المسلم في تقوية حس المراقبة والمحاسبة.



إن الحج تطهير للنفس، وغرس لبذور الفضيلة والاستقامة، وصلة قوية بمنابع الإسلام الأولى، ستظل ذكرياتها محفورة في الذاكرة تؤجج الشوق إلى تكرار الحج والعمرة عدة مرات، وإذا حالت بعض الموانع دون تكرار الرحلة سيكون العزاء الشافي هو الثبات على العهد والتزام السبيل المستقيم.

### الثالث : حِكْمَ الحج

أما حكمة أو حكم فرض الحج، وما قصده الشارع بهذا التكليف من مصالح، وما الذي يجنيه المسلمون كل عام من احتمال هذه المشقات البدنية والمالية، فهذه موضوعات لا يكتر التساؤل عنها، ولا تلقى من الحجاج العناية التي تلقاها أحكام المناسك، مع أن الشارع الحكيم ما قصد بفرض الحج، ولا بأي فرض فرضه، مجرد هيكله الظاهري

وصورته المادية، وإنما قصد الهيكل والروح والصورة والمعنى، وأراد بالعبادات وبالفرائض أن تكون وسائل لمقاصد ومصالح، والواجب على المسلمين أن يقوموا بالوسائل وأن يحققوا المقاصد، التي فرض الحج من أجلها ويجنوا ثماره ومنافعه وخيره وعطاءه السخي، وكلها جاءت لتحقيق مصالح الإنسان وإلا ﴿فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرِيمٌ﴾ (١٥).

إن الناظر في آيات القرآن وسنن الرسول ﷺ يتجلى له أن الشارع الحكيم، ما فرض على كل مكلف من المسلمين والمسلمات أن يحج البيت الحرام مرة في عمره إلا لتحقيق مصالح اجتماعية لشعوب المسلمين وجماعاتهم، وأيضاً لتحقيق مصالح فردية للحاج نفسه. فالحج من حيث ما قصد الشارع به من مصالح له نلحيتان ولا يكون أداء هذه الفريضة كاملاً إلا إذا عمل المسلمون على

تحقيق هاذين الناحيتين :

## ١- الإصلاح الاجتماعي

فقد أرشد الله سبحانه إليها بقوله: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ \* لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ \* .  
فقوله سبحانه: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ \* بيان لأن المقصود من الحج وفود المسلمين من الرجال والنساء إلى مكان واحد هو الكعبة، أن يشاهدوا ما فيه نفع لهم وخيرهم ومصالحتهم، وقد أطلق سبحانه «منافع لهم» ليدل على المقصود كل ما فيه نفع لهم في دينهم ودنياهم، في العلم أو في التجارة، أو في السياسة، أو في الاقتصاد، أو في كل ناحية من نواحي النفع والإصلاح، ومن أظهرها وأهمها تقوية وحدتهم

الحج رحلة حضارية وحدوية طيبة !  
رجب - ذوالحجّة ١٤٢٨ هـ - ميقات الحج ٢٨



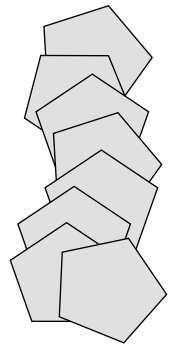
وأخوتهم، ووضع خطط تعاونهم  
وتناصرهم.

وذلك أن الأساس الذي بنى  
عليه الإسلام دعوته، والشعار الذي  
جعله علم المسلمين وعنوانهم هو  
وحدة المسلمين وتأخيههم وتضامنهم  
وتناصرهم، وتغليب جامعتهم  
الإسلامية على ما بينهم من فروق  
في الجنسية أو القومية أو اللغة أو  
الإقليم، ولهذا نطقت نصوص  
القرآن والسنة بأن المؤمنين إخوة،  
وبأن المؤمنين والمؤمنات بعضهم  
أولياء بعض، وبأن المؤمن للمؤمن  
كالبنيان المرصوص يشد بعضه  
بعضاً، وكالجسد الواحد إذا اشتكى  
عضو منه تداعى له سائر الجسد  
بالسهر والحمى.

وقرر علماء المسلمين أن دار  
المسلمين دار واحدة، وإن اختلفت  
ملوكهم وجيوشهم ولغاتهم  
وأجناسهم، وأنه لا يتحقق بين

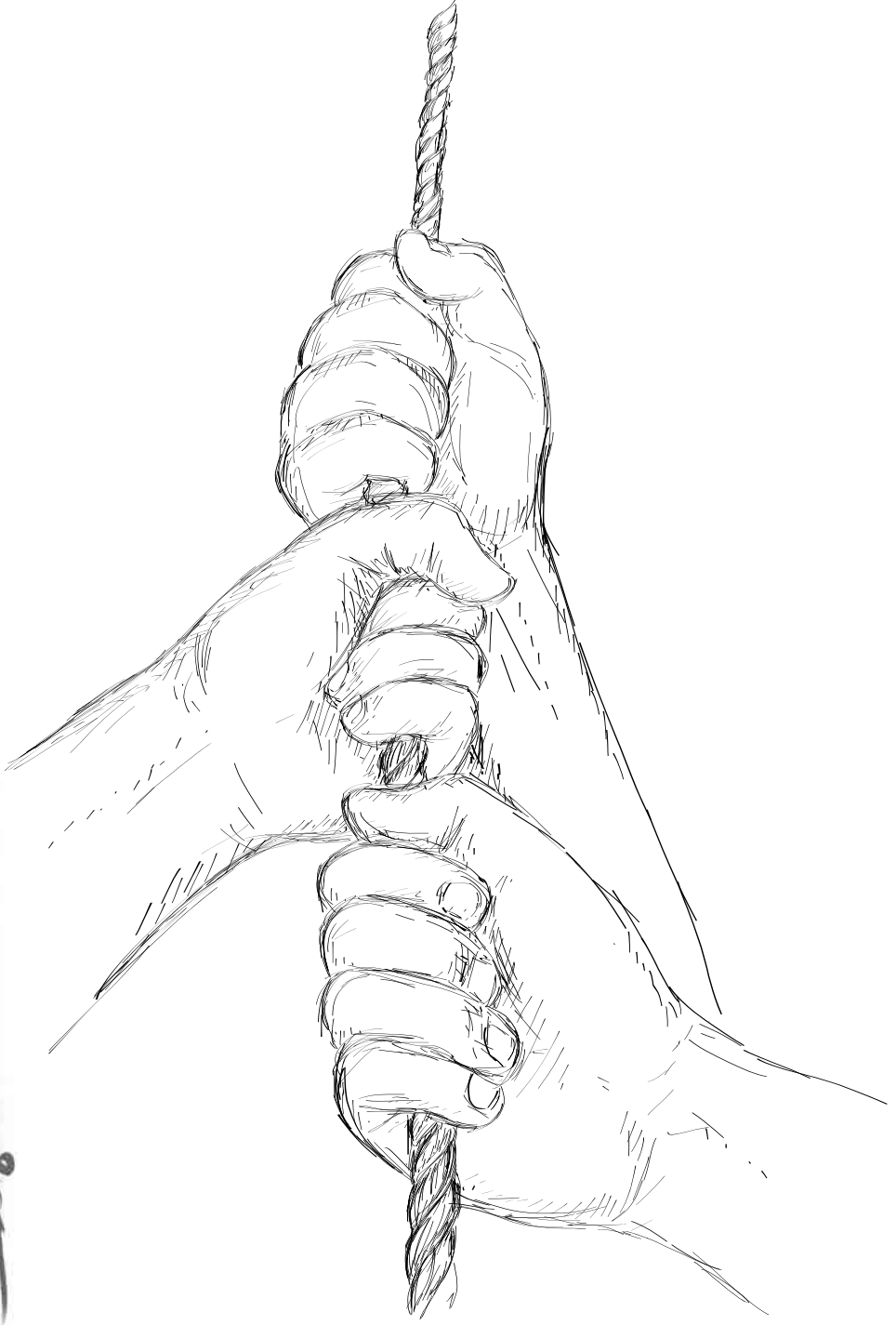
مسلم ومسلم اختلاف في الدار، وإن  
تباينت التبعية السياسية وتباعدت  
الأقطار.

ومن أجل هذا شرع الله من  
العبادات وفرض من الفرائض  
ما يقوي هذه الوحدة، ويغذي هذه  
الأخوة، ويمكن المسلمين من جني  
ثمار وحدتهم وأخوتهم، فسن  
الجماعة في الصلوات الخمس في كل  
يوم؛ ليتعارف أهل المنطقة الواحدة،  
وفرض الجمعة في كل أسبوع  
ليتعارف أهل المناطق في البلد  
الواحد، وفرض الحج مرة في العمر  
ليجتمع المسلمون من مختلف الأقطار  
مرة في كل عام حول بيت الله الحرام  
وفي مهد الإسلام ومهبط الوحي،  
ليتذكروا مبدأ أمرهم، وما سادت  
به دولتهم ودعوتهم، ويتدارسوا  
شؤونهم.. ويقف كل شعب على  
حال سائر الشعوب، وبهذا التعارف  
والتفاهم يضعون الخطط لمبادلاتهم



رجب - ذوالحجّة ١٤٢٨ هـ - ميقات الحج ٢٨

الحج رحلة حضارية وحدوية طيبة !



التجارية والصناعية والعملية،  
ولتنصرهم وتعاونهم على من  
يعتدي عليهم أو على مصالحهم.

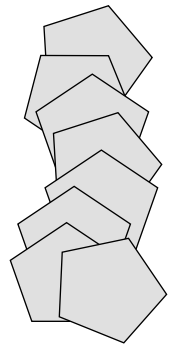
وقد ورد في حديث عن الإمام جعفر  
الصادق عليه السلام فيما حدث به هشام بن  
الحكم قال: سألت أبا عبدالله جعفر  
الصادق عليه السلام فقلت له:

ما العلة التي من أجلها كلف الله  
العباد الحج والطواف بالبيت؟

فقال: «إن الله خلق الخلق... إلى  
أن قال - وأمرهم بما يكون من أمر  
الطاعة في الدين، ومصالحتهم من  
أمر دنياهم، فجعل فيه الاجتماع من  
الشرق والغرب ليتعارفوا، ولينزع  
كل قوم من التجارات من بلد إلى  
بلد، ولينتفع بذلك المكاري والجمال  
ولتعرف آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وتعرف  
أخباره، ويذكر ولا ينسى، ولو كان  
كل قوم إنما يتكلمون على بلادهم  
وما فيها هلكوا وخربت البلاد،  
وسقطت الجلب والأرباح وعميت

الأخبار ولم تقفوا على ذلك، فذلك  
علة الحج» .

وعن الفضل بن شاذان عن الإمام  
علي الرضا عليه السلام قال: «إنما أمروا  
بلحج لعلّ الوفاة إلى الله عز وجل،  
وطلب الزيادة والخروج من كل ما  
اقترب العبد تائباً مما مضى، مستأنفاً  
لما يستقبل مع ما فيه من إخراج  
الأموال وتعب الأبدان، والاشتغال  
عن الأهل والولد، وحظر النفس  
[الأنفس] عن اللذات شاخصاً في  
الحرّ والبرد ثابتاً على ذلك دائماً، مع  
الخضوع والاستكانة والتذلل مع ما  
في ذلك لجميع الخلق من المنافع  
لجميع من في شرق الأرض وغربها،  
ومن في البرّ والبحر، ممن يحجّ وممن  
لم يحجّ، من بين تاجر وجالب وبائع  
ومشتر وكاسب ومسكين ومكار  
وفقير، وقضاء حوائج أهل الأطراف  
من المواضع الممكن لهم الاجتماع  
فيه، مع ما فيه من التفقه ونقل أخبار





الأئمة إلى كل صقع وناحية، كما قال الله عز وجل: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ و ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾.

يقول العلامة السيد فضل الله: إننا نستوحي من هذين الحديثين، أن الإسلام أراد للحج أن يكون ملتقىً للمسلمين جميعاً في شرق الأرض وغربها، من أجل تحقيق التعارف والتواصل بينهم، وتحصيل المنافع الاقتصادية والاجتماعية لمن حجّ ولن لم يحج، وتبادل التجارب والخبرات المتنوعة، التي يملكها كل فريق من خلال أوضاعه العامة والخاصة، وتسهيل حركة الدعوة إلى الله بالانطلاق من موسم الحج للاتصال بكل المناطق الإسلامية التي تتمثلُ بأفرادها، الذين يقصدون بيت الله الحرام؛ لأداء الفريضة

فيما يتعلمونه من ثقافة الإسلام وشريعته، وفيما يتعاونون فيه من مشاريع وأعمال وخطط على أساس المصلحة الإسلامية العليا، لينطلق العمل الإسلامي من قاعدة مركزية واسعة، في أجواء الإسلام التاريخية التي شهدت مولد الدعوة وعاشت حركيتها، وحققت أهدافها الكبيرة في جهادها الميرير الصعب، فيكون التحرك في الخط من موقع الفكرة والجو والخبرة المتبادلة والمعانة الحاضرة.

وهكذا يعيش الناس فيما يقصدونه من مزارات أجواء الإسلام الأولى، التي يعيشون معها الإحساس بالانتماء الروحي والعملي لهذا التاريخ، مما يوحي لهم بأن الإسلام الذي ينتمون إليه يمتدّ إلى تلك الجذور العميقة الطارئة في أعماق الزمن، وبأن عليهم أن يعطوا هذا التاريخ امتداداً من خلال جهادهم

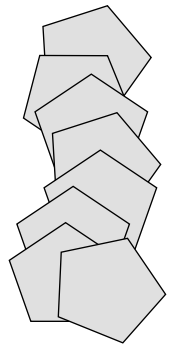
ومعاناتهم ... (١٦).

فهذا الحج هو مؤتمر إسلامي سنوي  
ينعقد بدعوة إلهية، وتلتقي فيه وفود  
الأمم الإسلامية وممثلوها، في أظهر  
مكان بأصفى نفوس مؤيدين  
بمعونة الله؛ ليرسموا خطة تعاون  
المسلمين، ويقرروا ما يحقق آمالهم،  
ويعالج أمراضهم، ويوحد كلمتهم .

ولو عنى المسلمون بهذا المؤتمر  
الإلهي السنوي، وأوفد كل شعب  
إسلامي إليه بعوثاً من خيرة ما  
عنده من علماء السياسة والصناعة  
والتجارة وسائر شؤون الدين  
والدنيا، وكان هناك عمل على  
تنظيم اجتماعات لهذه البعث  
المختلفة، وتيسير السبل لتعارفهم  
وتباحثهم؛ لكان للمسلمين في كل  
عام صوت إصلاحي إجماعي، يُسمع  
دويه في العالم، ويرقبه المسلمون كل  
عام بأذان صاغية، وقلوب واعية.  
ولكن مما يؤسف أن ألوف

المسلمين بمكة بالمسجد الحرام  
يستقبلون قبلة واحدة، ويؤمهم إمام  
واحد، ويؤمنون بإله واحد، ولكن لا  
تفاهم بينهم ولا تعارف، ولا تبادل  
الحديث في شأن ديني أو دنيوي، وهم  
في مكان واحد يلتقون، وكأنهم لا  
تجمعهم جامعة، ولا تربطهم أخوة؛  
لأن كل واحد منهم لا يفهم لغة  
أخيه، ولا يستطيع مبادلتة أي حديث.  
ولهذا أرى واجباً على كل شعب  
إسلامي أن يجعل اللغة العربية  
مادة أساسية في مدارسها يتعلمها  
الناشؤون، وينشؤون على النطق  
بها والكتابة بها، فهي اللغة التي  
اختارتها السماء ونزل بها الكتاب  
المبين القرآن الكريم، وهذه أول  
خطوة لتفاهم المسلمين وتعارفهم،  
واستثمار وحدتهم وأخوتهم..

لا بد من الانتفاع بهذا المؤتمر  
الإسلامي السنوي الذي ينعقد  
بدعوة من الله، وتهرع إليه الوفود



بإيمان وإخلاص ابتغاء مرضاة الله، فلتكن وجهة المسلمين أن ينتفعوا كل عام بقرارات هذا المؤتمر، ونتائج جهود هؤلاء البعث وصفاء نفوسهم حول الكعبة وفي مهد الإسلام ومهبط الوحي بالقرآن.

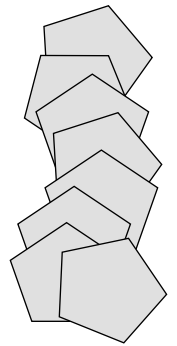
## ٢- الإصلاح الفردي

فقد أرشد إلى هذا رسول الله ﷺ بقوله: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه»، ويقول: «إذا لقيت الحاج فسلم عليه وصافحه ومره أن يستغفر لك قبل أن يدخل بيته فإنه مغفور له». فكما أن الصلوات الخمس كفارات لما بينهن من الخطايا، والزكاة طهرة للمزكي من الشح والحرص والقسوة والأنانية، والصوم طهرة للصائم من الاسترسال في الشهوات واتباع النفس الأمانة بالسوء، فالحج طهرة للحاج من ذنوبه وآثامه، يغسل

فأول ما يبدأ به الحاج: الإحرام، وهذا أول درس رياضي تهنئتي لنفس الحاج، فإن الحاج إذا تجرد من ثيابه ورأى نفسه عاري الرأس شبه الخافي، ورأى الملوك والسوقة والأغنياء والفقراء والمخدومين وخداميهم بزي واحد هانت في عينيه مظاهر الدنيا، وتذكر مبدأه ومعاده، وآمن بأن العظمة لله وحده، وإذا ذاك يذكر معاصيه وسيئاته، ويضرع إلى ربه، ويلهج لسانه: لبيك اللهم لبيك!

فإذا وصل بهذه الحال إلى مكة، وصل بنفس خاشعة ضارعة باكية أسفة، فيجد الضالة التي ينشدها، والفرصة التي يغنمها وهي الكعبة، فيطوف بها داعياً مستغفراً مهلاً مكبراً، مؤمناً بأنه في أكرم مكان عند الله، فيه تقبل التوبة وتغفر الذنوب.

وإذا انتقل من الطواف بالكعبة إلى السعي بين الصفا والمروة، كرر دعاءه واستغفاره. وإذا وقف بعرفات، وذكر وقفة الرسول ﷺ بحجة الوداع يخطب خطبة الوداع، وواجه جبل الرحمة.. هنالك تفيض العين بالدمع، وينبض القلب بالتوبة، ويلهج اللسان بالاستغفار، واعتقد أنه نال رضا ربه، وخرج من ذنوبه، وانتصر على هواجس نفسه، ووساوس الشيطان، فيرمز لهذا الانتصار برمي الجمرات، ويعود من مناسك الحج، وقد ألقى أوزاره، واعتقد أن الله قد



غفر له.

هذه المعاني الروحية والرياضة التهذيبية لمناسك الحج تقتضي من كل حاج أن يفكر فيها، وأن يعمل على تحقيقها، فإن الشارع الحكيم ما شرط الإحرام مجرد أن يكشف الإنسان رأسه، وأن يتجرد من ثيابه، وما فرض الطواف مجرد أن يدور بأحجار، ويتمسح بأستار، وما أوجب السعي بين الصفا والمروة مجرد أن يجري عدة أميال، ولا فرض الوقوف بعرفة لرحلة جبلية، وإنما شرع هذا سبحانه لإصلاح نفسي، ورياضة تهذيبية.

وعلى الحجيج أن يتركوا كل ما يلهيهم ويبعدهم عن التفكير في حكمة تشريع الحج وما يراد فيه من إصلاح النفوس، وليعلم الجميع أن الله سبحانه ما قصد بأية عبادة من العبادات مجرد صورها وأشكالها، وإنما قصد حكمها وروحها وآثارها

في إصلاح الأفراد والجماعات  
والمؤسسات والكيانات والأمة  
بكاملها ..

### الرابع : البُعد التذكيري

من منافع الحج أنه خير مذكر  
للإنسان الحاج، فهو يزيح عنه  
الغشاوة، ويفتح عينيه على ما لم  
يستطع معرفته وهو بعيد عن دائرة  
مناسك هذه الفريضة، فكلمة قرب  
منها وكلمة عاش أجواءها وتذوق  
طعمها، تركت في نفسه بصماتها،  
وراحت تفتح له آفاقها ليستفيد منها  
ويعيش ذكراها وهو يؤدي مناسكها  
بصدق وإخلاص .. ولهذا تراها  
تذكره فيتذكر:

١ - يتذكر بسفره إلى الحج سفره  
إلى الله والدار الآخرة، وكما أن في  
السفر فراق الأحبة والأهل والأولاد  
والوطن؛ فإن السفر إلى الدار  
الآخرة كذلك .

٢ - فكما أن الإنسان في سفره  
الديني يستعد له بإعداد الزاد ..  
فالسفر إلى الدار الآخرة كذلك  
وهو أعظم منه بمراحل يحتاج إلى  
الزاد الأعظم والأكثر نفعاً؛ لأن  
أمام الإنسان النزع والموت والقبر  
والحشر والحساب والميزان والصرط  
ثم الجنة أو النار، وكل هذه يحتاج  
إلى العدة .. وأسعد إنسان هو الذي  
ينجو من عذاب يومئذ ولا ينجو إلا  
إذا أحسن زاده وأتقن عمله فهو  
رفيقه الوحيد في رحلته هذه .

٣- الذهاب في هذا السفر يتزود من  
الزاد الذي يبلغه إلى الديار المقدسة،  
فليتذكر أن سفره إلى ربه ينبغي أن  
يكون معه من الزاد ما يبلغه مأمنه،  
وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا  
فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ (١٧).

٤ - ودخوله لبيت الله الحرام الذي  
جعل الله أمناً للناس يتذكر به العبد  
الأمين يوم القيامة، وأنه لا يحصله





فكذا ينبغي أن يكون قلبه وأن تكون جوارحه بيضاء لا يشوبها سواد الإثم والمعصية .

٧- وإذا قال في الميقات: «لبيك اللهم لبيك»، فهو يعني أنه قد استجاب لربه تعالى، فما باله باقٍ على ذنوب وآثام لم يستجب لربه في تركها ويقول بلسان الحال: «لبيك اللهم لبيك» يعني: استجبت لنهيك لي عنها وهذا أوان تركها؟

٨ - وتركه للمحظورات أثناء إحرامه، واشتغاله بالتلبية والذكر يذكره بحال المسلم الذي ينبغي أن يكون عليه، وفيه تربية له وتعويد للنفس على ذلك، فهو يروض نفسه ويربّيها على ترك مباحات في الأصل لكن الله حرمها عليه ها هنا، فكيف أن يتعدى على محرمات حرمها الله عليه في كل زمان ومكان؟!

٩ - وتقبيله للحجر الأسود - وهو أول ما يبدأ به من المناسك - يربي

الإنسان إلا بكد وتعب، وأعظم ما يؤمن الإنسان يوم القيامة التوحيد وترك الشرك بالله، وفي هذا يقول الله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (١٨).

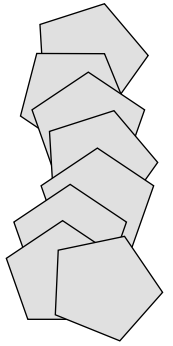
٥ - وفي طوافه يتذكر أباه إبراهيم عليه السلام، وأنه بنى البيت ليكون مثابة للناس وأمناً، وأنه دعاهم للحج لهذا البيت، فجاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ودعا الناس لهذا البيت أيضاً، وكذا كان يحج إليه موسى ويونس وعيسى عليهم السلام، فكان هذا البيت شعاراً لهؤلاء الأنبياء وملتقى لهم، وكيف لا وقد أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام ببناؤه وتعظيمه .

٦ - وإذا لبس المحرم ثوبي إحرامه فلا يذكر إلا كفته الذي سيكفن به، وهذا يدعو إلى التخلص من المعاصي والذنوب، وكما تجرد من ثيابه فعليه أن يتجرد من الذنوب، وكما لبس ثوبين أبيضين نظيفين

الزائر على تعظيم السنّة، وأن لا يتعدى على شرع الله بعقله القاصر، ويعلم أن ما شرع الله للناس فيه الحكمة والخير، ويربي نفسه على عبوديته لربه تعالى ..

١٠ - وشربه لماء زمزم يذكره بنعمة الله تعالى على الناس بهذا الماء المبارك والذي شرب منه ملايين الناس على مدى دهور طويلة ولم ينضب، ويحثه على الدعاء عند شربه، وقد نسب إلى النبي ﷺ قوله: «إن ماء زمزم لما شرب له» .

١١ - السعي بين الصفا والمروة يذكره بما تحملته هاجر أم إسماعيل وزوجة نبي الله إبراهيم الخليل ﷺ من الابتلاء، وكيف أنها كانت تتردد بين الصفا والمروة بحثاً عن مغيث يخلصها مما هي فيه من محنة وخاصة في شربة ماء لولدها الصغير - إسماعيل - حتى أورتتنا هذا الإرث العظيم.



إنه ركن من أركان الحج «السعي بين الصفا والمروة» فإذا صبرت هذه المرأة على هذا الابتلاء ولجأت لربها فيه فأن يفعل المرء ذلك أولى وأحرى له، فالرجل يتذكر جهاد المرأة وصبرها فيخفف عليه ما هو فيه، والمرأة تتذكر من هو من بنات جنسها فتتهون عليها مصائبها .

١٢ - الوقوف بعرفة يذكر الحاج بازدحام الخلائق يوم المحشر، وأنه إن كان الحاج ينصب ويتعب من ازدحام آلاف، فكيف بازدحام الخلائق حفاة عراة ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (١٩) !؟

١٣ - رمي الجمار يعوّد المسلم على الطاعة المجردة ولو لم يدرك فائدة الرمي وحكمته، ولو لم يستطع ربط الأحكام بعقلها، وفي هذا إظهار للعبودية المحضة لله تعالى .

١٤ - ذبح الهدي يذكره بالحادثة العظيمة في تنفيذ أبينا إبراهيم



«مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» .

ودعاه ذلك ليفتح صفحة جديدة في حياته خالية من الآثام والذنوب .

١٧ - وإذا رجع إلى أهله وبنيه وفرح بلقائهم، ذكّره ذلك بالفرح الأكبر بلقائهم في جنة الله تعالى، وعرفه ذلك بأن الخسارة هي خسارة النفس والأهل يوم القيامة، كما قال تعالى :

﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (٢١) .

لأمر الله تعالى بذبح ولده البكر إسماعيل بعد أن شبّ وصار معيناً له، وأنه لا مكان للعاطفة التي تخالف أمر الله ونهيه، ويعلمه كذلك الاستجابة لما أمر الله بقول الذبيح إسماعيل: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (٢٠) .

١٥ - فإذا ما تحلّل من إحرامه وحلّ له ما حرّمه الله عليه، ربه ذلك على عاقبة الصبر، وأن مع العسر يسراً، وأن عاقبة المستجيب لأمر الله الفرح والسرور، وهذه فرحة لا يشعر بها إلا من ذاق حلاوة الطاعة، كالفرحة التي يشعرها الصائم عند فطره، أو القائم في آخر الليل بعد صلاته .

١٦ - وإذا انتهى من مناسك الحج وجاء به على ما شرع الله وأحب، وأكمل مناسكه، رجا ربه أن يغفر له ذنوبه كلها، كما وعد بذلك النبي ﷺ بقوله :

## الهوامش

-----

- (١) المائة: ٩٧.
- (٢) انظر تفسير وبيان مفردات القرآن  
: ٣٣٥ إعداد الدكتور محمد حسن  
الحمصي .
- (٣) البقرة: ١٩٨.
- (٤) البقرة: ١٩٦.
- (٥) آل عمران: ٩٧.
- (٦) الحجرات: ١٣.
- (٧) الحج: ٢٦.
- (٨) البقرة: ١٢٥.
- (٩) الحج: ٢٧.
- (١٠) البقرة: ١٣٥.
- (١١) حامد بن محمد العبادي، من حكم  
الشريعة وأسرارها: ١٧٠ - ١٧١ .
- (١٢) الأنبياء: ٩٢.
- (١٣) الحج: ٢٨.
- (١٤) غافر: ٦٠.
- (١٥) النمل: ٤٠.
- (١٦) انظر: مجلة ميقات الحج ١: ٢٧ - ٢٨ .
- (١٧) البقرة: ١٩٧.
- (١٨) الأنعام: ٨١.
- (١٩) المعارج: ٤.
- (٢٠) الصافات: ١٠٢.
- (٢١) الزمر: ١٥.

